الرسالة

(غلاطية ٦: ١١–١٨)

يا إخوةُ انظروا ما أعظمَ الكتاباتِ التي كتبتُها إليكم بيدي* إنَّ كلَّ الذينَ يريدون أن يُرضوا بحسبِ الجسدِ يُلزمونكم أن تختَتنوا وإنّما ذلك لئلاّ يُضطهدوا من أجلِ صليبِ المسيح* لأنَّ الذينَ يختتِنون هم أنفسُهم لا يحفظون الناموسَ بل إنّما يريدون أن تختَتِنوا ليفتخروا بأجسادكم* أما أنا فحاشى لي أن أفتَخِرَ إلاّ بصليبِ ربّنا يسوعَ المسيح الذي بهِ صُلِبَ العالَمُ لي وأنا صُلبتُ للعالم* لأنَّهُ في المسيح يسوعَ ليس الختانُ بشيءٍ ولا القلَفُ بل الخليقَةُ الجديدة* وكلُّ الذين يسلُكونَ بحسبِ هذا القانونِ فعليهم سلامٌ ورحمةٌ وعلى إسرائيلِ اللهِ* فلا يجلبْ عليَّ أحدٌ أتعابًا فيما بعدُ فإنّي حاملٌ في جسدي سماتِ الربِّ يسوع* نعمةُ ربِّنا يسوعَ المسيحِ مع روحِكم أيُّها الإخوة. آمين.

ذهاب الرب وإيابه

في مطلع إنجيل اليوم الذي نقرأه في الأحد الذي يسبق عيد رفع الصليب، يقول الرب: «لم يصعد أحدٌ إلى السماء إلّا الذي نزل من السماء، ابن البشر الذي هو في السماء» (يو ٣: ١٣). يأتي هذا الكلام في معرض حديث الربّ يسوع مع نيقوديموس، وخلاصته أنّ ابن الإنسان هو ابن الله أيضًا وقد تجسد، أي نزل من السماء، ليمنح المؤمنين به الخلاص، وهو سيصعد بجسده إلى السماء من بعد قيامته، مع كونه لم ينفصل عن الآب بلاهوته.

هذا بالنسبة إلى تجسّده. أمّا في حياته على الأرض فقد كان الرب يتنقل باستمرار ذهابًا وإيابًا. فهو كان يظهر كثيرًا حيث لم يكن يتوقّعه أحد، وكان يدهش الجموع بحكمته ورقّته، بعجائبه وبسلطانه الإلهيّ، ثمّ بعد ذلك يختفي مباشرةً. وهذا ما كان يفعله الله في العهد القديم أيضًا مع أجدادنا. كان آدم وحواء قد اعتادا على زيارات الرب الذي كان يمشي معهم في الجنّة ويحدّثهم ثم يتركهم من جديد. ففي إحدى المرّات التي غاب فيها حضور الرب المحيي، انقاد الإنسان إلى غواية الحية. وبعد أن أخطأ بعصيانه الله، خاف واختبأ عندما شعر بحضور الرب. من هنا تغيّرت علاقة الإنسان بالله، لكن الله لم يتغيّر ولم يترك الإنسان لمصيره إثر سقوطه، بل بقي دائمًا يبحث عن الخروف الضال. الله يزور كلّ إنسان متألّم ومريض ومجروح وخاطئ ومجدّف وحتى غير مؤمن.

يقول سليمان الحكيم في سفر الحكمة: «إن الحكمة أسرع حركة من كل متحرّك» (٧: ٢٤). تعلّمنا كنيستنا الأرثوذكسيّة أن يسوع المسيح هو حكمة الله كما نرتّل في قانون الفصح: «أيها المسيح الفصح الأجل الأمثل، يا حكمةَ الله وكلمته وقوّته». هذا يعني أنّ المسيح هو أسرع من أيّ أمر يتحرك في هذا العالم. الحكمة حاضرة في كل مكان، في السماء وعلى الأرض، وهي تدخل إلى قلوب البشر، لكنها تزور بشكل خاص النفوس النقيّة والمقدّسة وتجعلهم أهلًا ليصيروا أخصّاء الله. طوال حياته على الأرض، كان الرب يسوع يجول من منطقة إلى أخرى ويختلط بالناس. كان يعلّم ويُعطي الوصايا ويصنع المعجزات ليعرف الناس أنّه

العدد ٣٧/ ٢٠١٦

الأحد ١١ أيلول

الأحد قبل رفع الصليب

تذكار البارّة ثاودورة الإسكندرانية

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الأول

أتى «باسم أبيه» (يو ٥: ٤٣).

في العهد القديم كان معظم الناس يؤمنون بإله لا يُرى ولا يُدنى منه. مع تجسّد المسيح أصبح الإله منظورًا على الأرض كشخص بطبيعتَين: إلهيّة وإنسانيّة. هذا سمح لنا أن نرتّل يوميًّا في صلاة السحر من بعد تلاوة مزامير السحر الستة: «الله الرب ظهر لنا». هكذا أصبحنا نعاين الله في شخص المسيح القائل: «الذي رآني فقد رأى الآب»(يو ١٤: ٩). في تعليمه الأخير لتلاميذه، أعلن الرب لتلاميذه: «إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب» (مت ٢٣: ٣٩). هذا يعني أن الإيمان بالمسيح ليس فقط إيمانًا بألوهيّته، بل هو قناعة راسخة مبنيّة على الخبرة أنّ ذاك الذي هو مع الآب والروح القدس، والذي رآه البشر على الأرض، والذي يعاينه القديسون في السماء، ذاك الذي هو رأس الكنيسة يرانا ونراه. هو يذهب ويأتي، ومع ذلك أينما وجّهنا أنظارنا نرى دائمًا المسيح. إلهنا ينظر إلينا في كلّ حين ويسرع لنجدتنا لذلك دُعي عمّانوئيل، أي «الله معنا».

إنّ حضور الله في حياتنا هو الملكوت المعاش في داخلنا. لكن يبقى السؤال الذي هو معاناة كلّ مؤمن، هل أدركنا أنّ الله هو دائمًا معنا؟ إذًا لماذا الآب السماوي كان يأتي ويذهب في العهد القديم؟ ولأيّ سبب يتكرّر الأمر نفسه اليوم مع المسيح؟ ولماذا يطلب منا الروح القدس أن نبحث عنه باستمرار؟ إن الروح القدس هو في قلب المؤمن لكن الإنسان لا يشعر دائمًا بوجوده. هنا تستوقفنا حادثة ظهور الرب يسوع، بعد قيامته، لتلميذَيه اللذين كانا متوجّهين إلى عمواس ولم يعرفاه. عندما انفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما (لو ٢٤: ٣١). لقد أصبح الرب غير مرئيٍّ في اللحظة التي عرفه فيها تلميذاه. لو لم يذهب المسيح لما كان التلميذان قد تذكّرا أنّ قلبيهما كانا ملتهبين فيهما عندما كان يسوع يكلّمهما في الطريق ويوضح لهما الكتب (لو ٢٤: ٣٢).

حضور الربّ غير المرئيّ هو سهر دائمٌ علينا وفي الوقت ذاته هو احترام لحريّتنا. عدم ظهور الإله بشكل دائم يمتحن ثبات إيماننا ومحبّتنا لله. إذًا ما كان يفعله المسيح خلال حياته على الأرض يفعله معنا اليوم، يتركنا ثم يزورنا. لقد وعد الرب قائلًا: «أنا أمضي لأعدّ لكم مكانًا، وإن مضيت وأعددت لكم مكانا آتي أيضًا وآخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا» (يو ١٤: ٢–٣). المسيح في حركة غير منقطعة هي عمله الخلاصيّ. المسيح هو «فصحنا» الأبديّ، والفصح هو «عبور». لا يكفي أن يكون المسيح دائمًا معنا، بل نحن أيضًا يجب أن نرغب بالعيش معه.

قانون العهد الجديد

إن أقوال الرب يسوع، التي اتخذت شكلاً مكتوبًا في الأناجيل الأربعة وكانت تُنقل شفاهًا كَ«تقليد» (أي تُسلَّم لمن سيحمل التعليم وينقله للآخرين)، أخذت مكانة السلطة الأبرز في ضمير المسيحيين. يُسند الرسول بولس دائماً أصالة أقواله في رسائله إلى أقوال الرب: «فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب» (١تس٤:١٥)، «أُوصي بهذا لا أنا بل الربُّ» (١كو٧:١٠)، «هكذا أيضًا أمرَ الربُّ» (١كو٩:١٤)، «لأنني تسلّمتُ من الربِّ ما سلّمتُكم أيضًا» (١كو١١:٢٣). والآباء الرسوليون لاحقًا يعتبرون مرجعيَّتهم، بالإضافة إلى العهد القديم، الربَّ يسوع.

الإنجيل

(يو ٣: ١٣–١٧)

قال الربُّ لم يصعد أحدٌ إلى السماءِ إلَّا الذي نزل من السماءِ ابن البشر الذي هو في السماءِ* وكما رفع موسى الحيّةَ في البريَّة هكذا ينبغي أن يُرفَعَ ابنُ البشر* لكي لا يهلكَ كلُّ من يؤمنُ بهِ بل تكونُ لهُ الحياةُ الأبدية* لأنَّهُ هكذا أَحبَّ اللهُ العالمَ حتى بذلَ ابنَهُ الوحيدَ لكي لا يهلِكَ كلُّ من يؤمنُ بهِ بل تكونُ لهُ الحياة الأبدية* فإنَّهُ لم يرسِلِ اللهُ ابنَهُ الوحيدَ إلى العالم ليدينَ العالم بل ليخلَّصَ بهِ العالم.

تأمل

«أما أنا فحاشى لي أن أفتخِرَ إلَّا بصليبِ ربّنا يسوع المسيح الذي به صُلبَ العالَم لي وأنا صُلبتُ للعالم» (غلا ٦: ١٤).

يفتخر الرسول بولس بالصليب متذكراً الإيمان والنعمة والإحسان والعدل النابعين من الصليب لأنه عن طريقه عُرفت عظمة الخطيئة وعظمة محبّة الله للبشر كما يقول الذهبي الفم الإلهي. لذلك كان بولس يستطيع أن يفتخر بحكمة المسيح وقدرته لكنه لم يفتخر إلّا بالصليب الذي يرتبك به

الفلاسفة العالميون ويخجلون منه (وكأنه جهالة) بينما يجد فيه الرسول كنزاً. لأن حيث التواضع هناك العظمة. حيث الضعف هناك القوّة. حيث الموت هناك الحياة. قال القديس مكسيموس «مخافة الله صليب هي، ذكر ما هو فوق، سيادة على الأهواء أي ضدّ الغضب والشهوة، ابتعاد عن محبّة الأقرباء والأصدقاء بداعي عشقنا لله».

الصليب ألغى الناموس القديم. حاشا لي أن أفتخر إلاّ بالإيمان بالمصلوب. حسب القديس يوحنا الذهبي الفم لم يقل بولس أنا لا أفتخر بشيء آخر سوى بصليب المسيح بل قال حاشا لي أن أفتخر إلاّ بالصليب متوسّلاً هكذا إلى الله أن لا يسمح له بشيء آخر بل يطلب منه العون لكي يستطيع الافتخار بالصليب وحده.

كيف يفتخر بولس بالصليب؟ كيف يجب على المسيحي أن يفتخر بالصليب؟ فكّر هكذا: إن المسيح السيّد لأجلي أنا العبد الحقير تألم وصلب وأحبّ إلى حدّ أنّه بذل نفسه عن طريق موت مذلّ، موت الصليب. أي افتخار يساوي مثل هذا الافتخار؟ هو الافتخار الأسمى لبولس ولكل مسيحي لأنه عن طريق الصليب تظهر محبّة السيد المسيح لعبيده. أي عبد لا يفتخر ولا يتخشّع عندما يحبّه سيده؟ طبعاً

فيما يتعلّق بأولية شخص الرب على النصوص المكتوبة، تعطي رسالة القديس إغناطيوس الأنطاكي إلى أهل فيلادلفيا في بدايات القرن الثاني، جوابًا واضحًا لأولئك الذين يدّعون بأنهم إن لم يجدوا الحقائقّ المسيحية مكتوبةً «عند القدماء» لا يصدّقونها: «أنا أقول لهؤلاء، إن الوثيقة المرجعية بالنسبة لي هو يسوع المسيح، والذي عصيانُه هو هلاكٌ بيّنٌ. المصدر الأصليُّ عندي هو صليبه وموته وقيامته، والإيمان بكلّ هذه». لقد آمن المسيحيون الأوائل بأن الروح القدس افتتح زمنًا جديدًا في تاريخ البشرية، زمنًا تكون خلاله «الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا» (٢كو٥:١٧)؛ ولهذا فإن «خدّام الكلمة» الذين يحفظون حقيقة المسيح وتعليمه هم «خدّام العهدِ الجديدِ، لا الحرفِ بل الروحِ. لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيي» (٢كو٣:٦).

أما الأسفار التي شكّلت العهد الجديد فهي الجزء المكتوب من الحقيقة المسيحية المتناقلة شفاهًا. لكن حتى هذه الأسفار في العصر الذي كُتبتْ فيه لم تُعتبر فورًا «كتابًا مقدسًا». الذي فرضها في قلوب المسيحيين كان أصلها الرسولي واتفاقها مع الحقيقة التي كانت عند الكنيسة كتقليد حيّ من «الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة» (لو١:٢).

بالنسبة للسؤال، كيف اقتيدت الكنيسة إلى تجميع الأسفار التي تحوي الحقائق الخلاصية، أي إلى صياغة القانون؟ يجيبنا بعض الباحثين أن الهرطوقي مركيون، بصياغته قانونه الخاص المؤلف من إنجيل لوقا مبتورًا ومن عشر رسائل لبولس، دفع بالكنيسة إلى تجميع أسفارها الملهَمَة. لكن مركيون لم يكن أول من جاء بفكرة القانون، لدينا دلائل قبله من العهد الجديد ومن الكتّاب الكنسيين في بدايات القرن الثاني عن أوّل تجميع لرسائل بولس. ربما كان مركيون قد حفّز الكنيسة لكي تصوغ القانون النهائي لأسفارها الملهَمَة بشكل أسرع.

ثمة عامل آخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار وهو تداول الأعمال المنحولة في القرن الثاني. إن الحاجة إلى حماية المسيحيين سواء من التعاليم الهرطوقية التي كانت مندسة في بعض الأسفار المنحولة، أو من المعلومات الخيالية غير المدروسة، كانت الشغل الشاغل للكنيسة. هكذا، كان على الكنيسة أن تواجه من جهة مركيون الذي قيّد واختصر الأسفار الصحيحة في إنجيل واحد مشوَّهٍ مبتورٍ وفي عشر رسائل، ومن جهة أخرى كان عليها أن تواجه الهراطقة المختلفين والجماعات الهرطوقية التي أدخلت كثيرًا من النصوص المحرَّفة.

الكنيسة موجودة قبل القانون، وقد ميّزت بإرشاد الروح القدس بين الأسفار الملهَمَة وغير الملهَمَة. من الصحيح جدًا أن اللاهوتيين الشرقيين، بدءًا من العلّامة أوريجنس في القرن الثالث، قد تطلّعوا إلى توافق الكنائس (concensus) كمعيارٍ حاسم لقبول قانونية سفرٍ ما، وذلك بناءً على استعمالات هذا السفر الليتورجية في حياة الكنائس وفي نشاطها التبشيري. أما القديس أثناسيوس الكبير فكان أول من استعمل المصطلح «قانون» ليدل على ديوان أسفار الكتاب المقدس. تشكّل الرسالة الاحتفالية التاسعة والثلاثون للقديس أثناسيوس الكبير (٣٦٧م) محطةً أخيرةً في تطوّر القانون وتشكيله النهائي، التي فيها تُسمّى الأسفار السبع

والعشرون للعهد الجديد «قانونيةٌ»، وطبعًا بالترتيب التالي: الأناجيل الأربعة، أعمال الرسل، الرسائل الأربع عشرة لبولس، الرسائل السبعة الجامعة (يعقوب، ١ و٢ بطرس، ١ و٢ و٣ يوحنا، يهوذا)، وفي النهاية رؤيا يوحنا.

في الغرب المسيحي كان تثبيت قانون الكتاب المقدس مع المرسوم (Decretum) الذي أصدره البابا جيلاسيوس، ورسالة البابا إينوكنديوس الأولى إلى أسقف تولوز (٤٠٥)، ومجمعي هيبّوناس (٣٩٣) وخركيذون (٣٩٧)، اللذين اشترك فيهما المغبوط أوغسطين. يجب أن نشير إلى أن هذه المجامع كانت باكورة المجامع التي اعترفت بأسفار العهد الجديد السبعة والعشرين، وهي كانت مجامع محليّة، لا مسكونيّة.

طبعًا الكنيسة بدون الكتاب المقدس أشبه بسفينة بدون دفة. ولكن أيضًا الكتاب المقدس بدون كنيسة يبقى بدون معنىً وبدون تفسير. إذا كان لدينا كتاب مقدس، فذلك لأن الكنيسة هي التي تتبنّاه وهي التي تفسّره، مُقصيةً عنه كل التفاسير الهرطوقية. بدون موهبة التفسير من الروح القدس، الذي يقود الكنيسة ويرشدها، يبقى الكتاب المقدس «مختومًا بسبعة ختوم» (رؤ٥:١).

بالمقابل، يجب أن لا ننسى أبدًا أن الكنيسة نفسَها تقرّ وتعترف بالكتاب المقدس على أنه «القانون» الذي يضبط إيمانَ أعضائها الصحيح وحياتَهم. ويعبّر عن ذلك القديس يوحنا الدمشقي إذ يقول: «كما أن الشجرة تتغذى من مجاري المياه، كذلك النفس ترتوي من عطايا الكتاب المقدس وتعطي ثمارًا ناضجة، وإيمانًا أرثوذكسيًا، وأوراقًا دائمة الخضرة، وسمعةً طيبة تنتج أعمالًا. هذه الأعمال والنظريات يضبطها الكتاب المقدس».

مدرسة الموسيقى

تعلن مدرسة القديس رومانوس المرنّم للموسيقى الكنسيَّة في الأبرشية عن بدء التسجيل للعام الدراسي ٢٠١٦-٢٠١٧. للإستعلام وتسجيل الأسماء الرجاء الإتصال على الرقم ٠١/٢٠٣٩٢٤، على أن يتراوح عمر الطالب بين ١٣ و٣٠ سنة. يخضع الطلاب لفحص صوت بعد صلاة الغروب الإفتتاحية التي تُقام عند السادسة والنصف من مساء الخميس ٢٩ أيلول ٢٠١٦ في كنيسة القديس ديمتريوس.

تمتدّ الدراسة على مدى أربع سنوات. يتعلّم الطالب في السنة الأولى قواعد قراءة العلامات الموسيقيّة وبعض التراتيل وفي السنتين الثانية والثالثة أصول الألحان الثمانية وفي السنة الرابعة تطبيقات على الالحان الثمانية إضافة إلى الترتيل باليونانية والتيبيكون وتاريخ الموسيقى الكنسيَّة. في نهاية الدراسة يؤهّل الطالب للدخول في جوقة المدرسة.

كما أصبح ممكناً للطلاب الذين أنهوا دراستهم الإشتراك في برنامج الدبلوم.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

هذا العبد يفتخر بسيده افتخاراً عظيماً.

«الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم».

بكلمة عالم يشير الرسول إلى كل الأمور المعيشية، إلى المجد، الغنى، الملذّات وما شابه. كل ذلك أصبح أشياء ميتة لا تفعل في. ومن جهتي أيضاً أصبحت ميتاً بالنسبة للعالم. الموت أضحى من الجهتين. لا تقدر تلك الأشياء أن تجذبني من بعد إلى محبّتها لأنها أصبحت مائتة بالنسبة لي. ولا أنا أمتلك قدرة على اشتهائها لأني أصبحت ميتاً بالنسبة لها.

القديس غريغوريوس بالاماس يفسّر هذه الآية قائلًا: «صُلب العالم لي» أي ابتعدت عن العالم حسّياً، تخلّيت عن الغنى، عن المجد والملذّات السهلة عند كل واحد. «وصُلبت للعالم» تدل على أننا عندما نبتعد عن العالم حسّياً نُصلب للعالم بالذهن أيضاً، أي نطرد من فكرنا وقلبنا الأهواء وشهوات العالم ولا نرتبك بها. وهذا أمر أصعب، لأن كثيرين هم بعيدون عن العالم بالجسد والحواس أمّا بالفكر والقلب فيوجدون في قلب العالم محبّين ومشتهين ملذّاته.

القديس نيقوديموس الآثوسي